بسم الله الرحمن الرحيم

فِقْهُ صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ 3 جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ 1448هـ

**عِبَادَ اللهِ:** اتَّقُوا اللهَ حَقَّ التَّقْوَىٰ، وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ، وَالْآخِرَةَ دَارُ مَقَرٍّ، وَلَنْ يُرَافِقَ الْعَبْدَ فِي قَبْرِهِ إِلَّا عَمَلُهُ، وَمِنْ أَجَلِّ الْأَعْمَالِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ: صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ، وَبَذْلُ الْخَيْرِ لِلْخَلْقِ.

إِنَّ صَنَائِعَ الْمَعْرُوفِ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ تَفَضُّلٍ، بَلْ هِيَ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ عَوْنًا لِلْأَبْدَانِ، وَوِقَايَةٌ لِلْمُجْتَمَعِ مِنَ الْقَسْوَةِ وَالتَّفَكُّكِ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ تَبَرُّعًا عَابِرًا. وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَرَنَ فِعْلَ الْخَيْرِ بِالْعِبَادَةِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

**أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:** تَأَمَّلُوا رَحِمَكُمُ اللهُ مَا أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمَعْرُوفُ إِلَىٰ النَّاسِ يَقِي صَاحِبَهَا مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالْآفَاتِ، وَالْهَلَكَاتِ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ». فَكَمْ مِنْ بَلَاءٍ صُرِفَ عَنْ إِنْسَانٍ، وَكَمْ مِنْ كُرْبَةٍ نُفِّسَتْ، وَكَمْ مِنْ مُصِيبَةٍ دُفِعَتْ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي يَوْمٍ مَا يَمْسَحُ دَمْعَةَ يَتِيمٍ، أَوْ يُفَرِّجُ كُرْبَةَ مَكْرُوبٍ، أَوْ يَسْعَىٰ فِي حَاجَةِ أَرْمَلَةٍ وَمِسْكِينٍ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».

فَيَا مَنْ تَمْلِكُ جَاهًا: اسْعَ بِهِ شَفَاعَةً حَسَنَةً، وَيَا مَنْ تَمْلِكُ مَالًا: أَنْفِقْ وَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ

الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَيَا مَنْ تَمْلِكُ كَلِمَةً طَيِّبَةً، أَوِ ابْتِسَامَةً أَوْ عِلْمًا، أَوْ حَتَّىٰ إِمَاطَةَ أَذًىٰ عَنِ الطَّرِيقِ: اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَأَنَّ صَانِعَ الْمَعْرُوفِ إِذَا وَقَعَ فِي شِدَّةٍ أَوْ مُصِيبَةٍ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ وَجَدَ لَهُ مُتَّكَأً مِنَ اللهِ وَسَنَدًا يُنْجِيهِ.

**أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:** احْذَرُوا الْغَفْلَةَ عَنْ نَجْدَةِ الْمُحْتَاجِينَ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ وَالْبُخْلَ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا. تَكَاتَفُوا عِبَادَ اللهِ فِي أَوْقَاتِ الشَّدَائِدِ وَالْأَزَمَاتِ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنِ النُّعْمَانِ ابْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ».

**عِبَادَ اللهِ: لِصَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ آثَارٌ طَيِّبَةٌ، مِنْهَا:**

**الْأَوَّلُ:** اسْتِدَامَةُ النِّعَمِ. فَاللهُ تَعَالَىٰ إِذَا أَنْعَمَ عَلَىٰ عَبْدٍ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ يَرَىٰ أَثَرَهَا عَلَيْهِ، أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَىٰ أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ»، وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «قَضَاءِ الْحَوَائِجِ»، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ قَوْمًا يَخْتَصُّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ، فَحَوَّلَهَا إِلَىٰ غَيْرِهِمْ»، وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَأَسْبَغَهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَ شَيْئًا مِنْ حَوَائِجِ النَّاسِ إِلَيْهِ فَتَبَرَّمَ، فَقَدْ عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ لِلزَّوَالِ». فَأَقْوَىٰ مَا تُحْفَظُ بِهِ نِعَمُ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالْقُوَّةِ شُكْرُ الْمُنْعِمِ عَلَيْهَا،

بِاصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ بِهَا، وَبَذْلِهَا لِمَنْ يَحْتَاجُهَا. هَذَا عَدَا مَا يَنَالُهُ مِنْ دُعَاءِ مَنْ بَذَلَ لَهُمْ مَعْرُوفَهُ، وَصَنَعَ فِيهِمْ صَنِيعَتَهُ.

**الثَّانِي**: مِنْ آثَارِ اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ: الْكِفَايَةُ مِنْ مَصَارِعِ السَّوْءِ. أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ»، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوْءِ».

**الثَّالِثُ**: مِنْ آثَارِ اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ تَفْرِيجُ كُرَبِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ». وَكُلُّ مَا ذُكِرَ فِي الْحَدِيثِ يَجْمَعُهُ اصْطِنَاعُ الْمَعْرُوفِ.

**الرَّابِعُ**: مِنْ آثَارِ اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ: مَحَبَّةُ النَّاسِ وَدُعَاؤُهُمْ؛ لِأَنَّ النُّفُوسَ مَجْبُولَةٌ عَلَىٰ حُبِّ مَنْ يَتَمَنَّىٰ لَهَا الْخَيْرَ، وَيَصْنَعُ لَهَا الْمَعْرُوفَ، وَيَبْذُلُ لَهَا مَالَهُ وَجَاهَهُ، وَوَقْتَهُ وَنَفْسَهُ، أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ». فَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَنْشُرُ الْمَوَدَّةَ وَالسُّرُورَ، وَتُقَرِّبُ الْقُلُوبَ، وَتُزِيلُ شَحْنَاءَ النُّفُوسِ، فَلَا يَتَقَاعَسُ عَنْهَا إِلَّا مَبْخُوسُ الْحَظِّ مَحْرُومٌ.

**أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ**: اصْطِنَاعُ الْمَعْرُوفِ، وَإِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، وَإِسْعَافُ الْمَكْرُوبِ، وَبَذْلُ الْخَيْرِ،

وَالسَّعْيُ فِي حَاجَةِ الْمُحْتَاجِ، كَانَ فِعْلَ الرُّسُلِ عليهم السلام؛ لِأَنَّهُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي جَاءُوا بِهَا، وَدَعَوْا إِلَيْهَا. فَمُوسَىٰ عليه السلام أَغَاثَ الَّذِي اسْتَغَاثَهُ، وَسَقَىٰ لِلْفَتَاتَيْنِ لَمَّا عَجَزَتَا عَنِ السُّقْيَا لِوُجُودِ الرِّجَالِ، وَلَمَّا تَكَلَّمَ عِيسَىٰ عليه السلام فِي الْمَهْدِ قَالَ: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾. قَالَ مُجَاهِدٌ رحمه الله: أَيْ: نَفَّاعًا لِلنَّاسِ أَيْنَمَا كُنْتُ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ مَنْ بَذَلَ لِلنَّاسِ مَنْفَعَةً دِينِيَّةً أَوْ دُنْيَوِيَّةً فَهُوَ مُبَارَكٌ، وَهَذَا هُوَ بَذْلُ الْمَعْرُوفِ.

وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم بَذَلَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ حَتَّىٰ حَطَمُوهُ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها: هَلْ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي وَهُوَ قَاعِدٌ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، بَعْدَ مَا حَطَمَهُ النَّاسُ.

قَالَ السِّنْدِيُّ رحمه الله فِي «حَاشِيَتِهِ عَلَىٰ سُنَنِ النَّسَائِيِّ»: يُقَالُ حَطَمَ فُلَانًا أَهْلُهُ إِذَا كَبِرَ فِيهِمْ، كَأَنَّهُمْ بِمَا حَمَّلُوهُ مِنْ أَثْقَالِهِمْ صَيَّرُوهُ شَيْخًا كَبِيرًا مَحْطُومًا.

أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَحَسَّنَهُ مُحَقِّقُو الْمُسْنَدِ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ زَاهِرٍ أَبِي رُوَاعٍ قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ رضي الله عنه يَخْطُبُ، فَقَالَ: إِنَّا وَاللهِ قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَإِنَّ نَاسًا يُعَلِّمُونِي بِهِ، عَسَىٰ أَنْ لَا يَكُونَ أَحَدُهُمْ رَآهُ قَطُّ.

وَسَارَ سَلَفُ الْأُمَّةِ عَلَىٰ الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ فِي بَذْلِ الْمَعْرُوفِ، وَنَفْعِ النَّاسِ، أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «قَضَاءِ الْحَوَائِجِ»، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رحمه الله، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟، وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ فَقَالَ: أَحَبُّ النَّاسِ إِلَىٰ اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ عز وجل سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَىٰ مُسْلِمٍ، تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِي مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا».